الرمز الديني ودلالاته عند أمل دنقل

د. محمود مصطفى أبوزيد عمر

المقدمة:

إن التطور من أهم سنن الحياة التي أودعها الخالق في الكون، فالحياة في تطور دائم، وفي كل يوم يولد الجديد، وينطبق ذلك على الأدب، فقد تطور عبر عصور عديدة، حتى وصل إلى عصرنا الحديث؛ الذي تمخض عن شكل جديد للشعر؛ ألا وهو الشعرالحر (شعرالتفعيلة).

وكل جديد يأتي بما هو جديد، وقد تميز الشعر الحر عن سابقه شكلا ومضمونا، ومن أهم ما جاء به الشعر الحر استخدام الرمز بصورة لافتة حتى أضحى الرمز مقرونا به.

واستفاض الشعراء في العصر الحديث في استخدام الرمز وتوظيفه في القصيدة بوصفه تقنية حديثة تتمثل بها الانفعالات والمشاعر والافكار والرؤى، مما أضاف أبعادا دلالية وأخرى جمالية تجسد المعاني وتستحضر الأحداث.

والرمز الديني غدا من أهم الرموز التي اتكأ عليها أمل دنقل ليحلق بها في عالم الفضيلة، وليسقطها علي شخصه ووطنه وأمته من خلال واقع مرير، وسوف نتناول في هذا الموجز الرموز الدينية بأنواعها ودلالاتها في شعر أمل دنقل من خلال أعماله الشعرية الكاملة.

وقد وقعت هذه الدراسة في مبحثين،الأول أتناول فيه مفهوم الرمز الديني،والثاني أتناول في أنوع الرموز الدينية في شعر أمل دنقل.

المبحث الأول: مفهوم الرمز الديني:

إن مفهوم الرمز الديني في الاصطلاح يعني الدلالة على ما وراء الألفاظ أو التراكيب أو المقاطع أو الإشارات أو الصور من معان دقيقة خفية في النص الشعري أو النثري، بجانب المعاني الظاهرة المقصودة ظاهريا، وهذا المفهوم يتوافق مع معنى الرمز في اللغة، إذ هو إشارة، وإيماء بالعينين أو الحاجبين أو الشفتين. جاء في "مجمل اللغة ":"مادة رمز " الرمز: تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون بتحريك الشفتين ويكون بكلام غير مفهوم باللفظ من إبانة بصوت، إنما هو إشارة بالشفتين " (١).

إن الرمز الديني في الأدب العربي لم يكن وليد الشعر الحديث، إنما يمتد بجذوره إلى عصور متقدمة، إلا إنها كانت مجرد إشارات رمزية، وبرز الرمز كظاهرة وكيان مع ظهور الشعر الحديث ليشكل نمطا جديدا على يد رواد الشعر الحر: السياب ونازك الملائكة والبياتي وصلاح عبد الصبور وأدونيس،وتعددت أنواع الرموز فمنها الطبيعية، والأسطورية، والتاريخية، والدينية.

والرمز الديني هومجال بحثنا، إذ إن الرمز الدين من أهم الرموز التي استعملها أمل "لأنه يعطي انفعالات عاطفية ويوقظ الحواس والنفس ومداركها بالنسبة للمؤمن، ويصف " مارتن لينجز" الرمز الديني بأنه انعكاس أو ظل للواقع العلوي (٢).

وتكمن أهمية الرمز باعتباره من الوسائل الفنية في الشعر، إذ يعمد الشاعر فيه إلى الإيحاء والتلميح بدلا من اللجو إلى المباشرة والتصريح، كما يعد الرمز أسلوبا من أساليب التصوير، أو وسيلة من وسائله، وهو تقنية عالية يرتفع بها شأن الصورة في الدلالة على المعنى، كما يعد وسيلة لتجنب الصدام مع الرقباء ويقي صاحبه الحرج، كما يجنب المتلقي الرتابة من خلال التجديد وإعمال الفكر وإثارة الذهن،يقول (ويسيا إلياد):"الرمز الديني يبلغ رسالته حتى لو لم يدرك بوعي بكليته "(٣).

والرمز الديني هو الذي يستمد من الأديان سواء كانت وضعية أم سماوية، ويرتبط بالعمل والاعتقاد، وقد استعمل

أمل دنقل كافة الرموز الدينية إلا إنه كان مقلا في توظيف الرموز الدينية السطورية، " لأن القارىء العربي -أغلبه- ليس لديه خلفية ثقافية للميثولوجيا والأساطير الأجنبية بجانب مخالفتها لعقيدة التوحيد "(٤). وقد تنوعت الرموز الدينية التي استعملها أمل دنقل ومن أبرزها:

١- رموز دينية مستمدة من القرآن الكريم:

يحفل القرآن الكريم بالرموز المتعددة، والتي تشكل قدسية وطاقة إيحائية هائلة على التعبير عن المعاني، وقد وظف أمل دنقل الرمز القرآني واستلهمه على مستوى المفردات والعبارات والآيات، وفي كثير من القصص والمواقف وشخصيات الأنبياء والرسل، مثل سيدنا نوح ويوسف وسليمان وعيسى والسيدة مريم عليهم السلام.

٢- رموز دينية مستمدة من التوراة:

يستحضر أمل دنقل رمز التوراة في العديد من قصائدة، ويسترسل في استعمالها على مستوى القصة في التوراة وبعض الشخصيات، وبرزذلك في تسمية أحد دواوينه باسم (العهد الجديد)، وهناك عناوين لبعض قصائد الشاعر مأخوذة من التوراة، وقسم هذه القصائد إلى إصحاحات كما في التوراة.

٣- رموز دينية مستمدة من الإنجيل:

يعد الرمز المستمد من الإنجيل من أهم الرموز التي استعملها أمل دنقل في شعره، لعمق دلالتها، وقوة إيحائها، واشتراك بعضها مع بعض رموز القرآن الكريم، ممالايقربها من القبول لدى القارئ، وقد وظُفت هذه الرموز بما يخدم رؤية الشاعر وواقعه.

لقد برز الرمز الديني لدى شاعرنا أمل دنقل، ولم يكتف الشاعر بالرمز الديني المستمد من الدين الإسلامي ورموزه، بل تجاوز ذلك إلى استعمال الرمز من اليهودية والمسيحية، فكما كان القرآن الكريم منبعا وَرَدَ منه الشاعر، فكذلك كانت الكتب المقدسة الأخرى، فنهل من التوراة، وأورد كثيرا من رموز الإنجيل (٥). وقد وظف الشاعر كل هذه الرموز على السواء في ملمح يدل على سعة ثقافته ومرونته في التعامل مع كل الأديان المرسلة، وإن دل ذلك فإنما يدل على روح التسامح لدى المسلم ويؤكد على عدم التعصب وقابليته للتحاور والتعايش مع الآخر.

والمتامل في توظيف الشاعر للرمز الديني يلحظ ثقافة عالية تشي باطلاع واسع واع انعكس إبداعا مفعما بالعواطف والخواطر الدقيقة والعميقة في صورة رمزية اختارها الشاعر بعناية من خلال الواقع الذي خيم بظلاله على بيئة وظروف شاعرنا. وقد سبر أغوار الرمز فانتقى منه ما هو قريب من خدمة ما يجول بخاطره، فجعل جل رموزه من التراث والتاريخ والدين، ولأنه خبير بأوجاع مجتمعه وهموم أمته التي تقدس الدين، فآثر أن يذكّرها بما يحييها ولذا اهتم بالرمزالديني الشامل لكل الأديان وهذا ما سوف نفصله.

المبحث الثاني: الرموز الدينية في شعر أمل دنقل:

أولا: رموز قرآنية:

في طليعة المصادر التي استمد منها أمل دنقل رموزه يأتي القرآن الكريم، الذي نهل منه الشاعر حينما أحس بضرورة تدعيم موقف معين أو خلع القداسة عليه. وظهر ذلك جليا في استعماله للرموز الإسلامية " فقد استلهم القرآن الكريم على مستوى الكلمة المفردة وعلى مستوى الجملة والآية، وقد يتجاوز ذلك إلى إعادة نتاج جو القصص القرآني ضمن السياق الذي يخدم البناء الشكلي والدلالي الذي يرمي إليه كل توظيف "(٦).

وقد جاء استعمال الرموز وتوظيفها على مستويات متعددة من حيث الشكل والموضوع ومن حيث المعنى. أولا: من حيث الشكل والموضوع:

أ: رموز على مستوى الآية أو الجملة:

استعمل الشاعر الرمز من خلال استعمال الجملة والآية، قال في قصيدة " الخيول " من ديوان " أوراق الغرفة ٨":

"اركضي أو قفي الآن...أيتها الخيل.....
لست المغيرات صبحا،
ولا العاديات – كما قيل – ضبحا"(٧).

فالشاعر هنا يستعمل رمز (الخيل) ليسجل فيه معنى المفارقة الساخرة، وتحول دلالة الخيل بين القديم والحديث وفق الوضع السياسي المحيط، فبعد ان كانت الخيل رمزا للغزو والنضال والجهاد، غدت للزينة واللهو، فقد فقدت وظيفتها بسبب تقهقرالأمة وضعفها، والشاعر هنا يستخدم الرمز ليسقطه على حالة العجز التي وصل إاليها الوطن العربي حيث الهزائم المتتالية التي لحقت به.

وهذا الرمز مأخوذ من سورة العاديات: ((﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ

قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾[العاديات:١ -٣]

ومن سورة التين يستعمل الشاعر الرمز على مستوى الآية، فيقول في قصيدة:"لا وقت للبكاء "من ديوان "تعليقا على ما حدث":

"والتين والزيتون
وطور سينين وهذا البلد المحزون
لقد رايت يومها:سفائن اللغفرنج
تغوص تحت الماء " (٨).

فالشاعر يستعمل بعض الآيات من سورة التين رمزا للشيء الذي سيقع، وقد كتب قصيدته بعد مرور أربعين يوما على رحيل جمال عبد الناصر، عندما اجتمع رؤساء العرب لتأبينه، فيقسم بالآيات الكرية ليرمزبها على ضياع مستقبل الوطن العربي بعد أن ضاع زعيمه، والشاعر يرى بعين بصيرته الثاقبة الاحداث المستقبلية، ويتنبأ بها قبل وقوعها، ولذلك أقسم امل دنقل بالهزيمة وقد كان ما قال.

ولأن الشاعر مشغول بهموم وطنه وقوميته فوظف الرمز لينبه على أهمية قضية فلسطين والقدس المقدسة، مستعملا الرمز على مستوى الجملة فقال في قصيدة:"سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس "(٩)عن القدس:

"وعجوز هي القدس(يشتعل الراس شيبا)
تشم القميص، فتبيض أعينها بالبكاء."

يوظف الشاعر الرمز الماخوذ من سورة مريم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[مريم:٤] لربط المقارنة بين حالة سيدنا زكريا عليه السلام وما أصابه من وهن وضعف وشيب الشعر، وحالة القدس التي وصلت إلى مرحلة الوهن والتعب، وأنها تشتعل، وهو بذلك ينبه على استمرار المعاناة، وتوالى النكبات، ما دعاه لاستخدام هذا الرمز هنا ليؤكد على الحالة السيئة التي وصلت إليها القدس.

والرموز التي يستعملها الشاعر على مستوى الآية أو الجملة كثيرة وقد وظّفها بدقة لتخدم حسه الوطني والقومي والديني المرهف.

وفي قصيدته (من مذكرات المتنبي) يستخدم رمزاً من سورة البقرة فيقول:

"فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية تُجلد كي تصيح "وأروماه...وأروماه....."
لكي يكون العين بالعين
والسن بالسن!"(١٠).

ويرمز بالنص القرآني السابق في قصيدته إلى القصاص، ولكنه قصاص على طريقة كافور الحاكم الذي اختار أقصر الطرق وأسهلها. ليُدلل على حالة الخنوع والخضوع، وهنا يعرّض بمن تقاعسوا عن الدفاع عن القدس وجلسوا يبكون حالهم.

ب – رموز على مستوى الكلمة :

وعلى مستوى الكلمة يستخدم الشاعر الرمز، وذلك في المقطع الخامس من قصيدته (من مذكرات المتنبي) فيقول:

"وجندك الشجعان يهتفون: سيف الدولة
وأنت شمس تختفي في هالة الغبار عند الجولة
ممتطياً جوادك الأشهب شاهراً حسامك الطويل المهلكا
تصرخ في وجه جنود الروم
بصيحة الحرب، فتسقط العيون في الحلقوم! (١١).

فقد رَمَزَ باستخدام رمز (الحلقوم) المأخوذ من قوله تعالى ﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾[الواقعة:٨٣]عن الحلم الذي يتمناه، حين يصرخ سيف الدولة القائد العظيم في وجه الروم فتسقط عيونهم من شدة الخوف في الحلقوم ودلالة الرمز هنا للمقارنة بين واقع الأمس وواقع اليوم من خلال استدعاء النص القرآني والوقائع التاريخية، فعيون العدو التي كانت بالأمس في الحضيض (تبلغ الحلقوم) من شدة الرعب إذ هي اليوم تتعالى علينا بسبب ضعفنا.

ج- من حيث عنوانات القصائد :

ولم يقتصر استخدام أمل دنقل للآيات والجمل القرآنية والكلمات كرموز على المتن الشعري، بل وظّفها في عنوانات قصائده، فنجده يستعملها ويوظفها كرموز معنوناً بها للقصيدة، وذلك مثل قصيدة (قالت امرأة في المدينة) (١٢) و هذا الرمز مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾[يوسف:٣٠]، ويستعمل هذا الرمز هنا للمقارنة بين نسوة المدينة اللآتي تعجبن من ميل امرأة العزيز لفتاها، وما هنّ فيه من عزة ورفاهية، وبين تلك المرأة في مدينة القدس وهي تسأل عمن ينقذها وينقذ القدس، فلم يجبها سوى صدى صوتها (ربما ردت الريح –سيدتي– نصف رد).

وكذلك في قصيدة (براءة) ((١٣ فاستخدم الرمز (براءة) المأخوذ من سورة التوبة ﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[التوبة:١] ليرمز به إلى محبوبته البريئة والتي يعدها مثالاً للطهر والنقاء والصفاء والتي يقارن

بين أخطائه وبين برائتها، ويتمنى أن تظل عينها مغمضتين على ما بهما من براءة، حتى لا يتلوثان بالواقع المرير.

ثانيا: رموز من حيث الموضوع:

كما استعمل أمل دنقل الرمز القرآني من حيث الشكل على مستوى الجملة والآية والكلمة المفردة، استعمله كذلك من حيث الموضوع (الرمز الموضوعي) فوجد في القصة القرآنية عالماً مليئاً بالرموز التي تخدم قصائده.

وكان استعماله للقصة القرآنية كرمز، إما ببعض أحداث القصة، أو المعنى العام للقصة، أو أجواء القصة، ولذلك احتلت شخصيات الرسل النصيب الأكبر من استعمال الرمز القرآني، وتمثّل ذلك في قصص القرآن الشهيرة مثل قصة: نوح، وابن نوح، وسليمان، ويوسف وعيسى ابن مريم عليهم السلام.

وكان توظيف هذه الشخصيات كرموز من خلال القصة القرآنية توظيفاً دقيقاً بحيث يبرز تجربة الشاعر ومعاناته، وواقع المجتمع والأمة آنذاك.

ومن أهم شخصيات الرموز في شعر أمل دنقل:

١- رمز نوح عليه السلام:

استعمل أمل دنقل قصة سيدنا نوح عليه السلام استعمالاً رمزياً وذلك في قصيدة (مقابلة خاصة مع ابن نوح) غير أنّ الشاعر استعمل هذا الرمز من خلال تأويل قصة نوح تأويلاً يتعارض مع مضمون القصة الأصلي، وذلك لخدمة الموقف الذي يرمز إليه بالقصة والشخصية القرآنية، مجرداً القصة من قداستها، ويتعامل معها كما لو كانت قصة عادية، ويسقطها على ما يريده من مضامين ومعان.

فقد جاء في قصيده (مقابلة خاصة مع ابن نوح):

جاء طوفان نوح.....المدينة تغرق شيئاً فشيئاً.....
هاهم الجبناء يفرون نحو السفينة
صاح بي سيد الفُلك - قبل حلول السكينة:
"انج من بلدٍ....لم تعد فيه روح!"
قلت: طوبى لمن طعموا خبزه....في الزمان الحسن
وأداروا له الظهر.....يوم المحن!
ولنا المجد -نحن الذين وقفنا.....(وقد طمس الله أسماءنا)
نتحدى الدمار.....ونأوي إلى جبلٍ لا يموت (يسمونه الشعب)
تأبى الفرار
وتأبى النزوح.(١٤)

إنّ أمل دنقل شاعر قومي، وقضية فلسطين هي الهم الأكبر والشغل الشاغل له، وكثير من الفلسطينيين خرجوا منها بعد الاحتلال اليهودي لها، وبقي عدد منهم متمسكا بالأرض والديار والهوية والقضية، والشاعر هنا رمز بابن نوح إلى نفسه، وجعل نفسه ابن نوح، ذلك الإنسان الصابر الذي لم يهرب من الوطن عندما جاءه طوفان الإحتلال كما فعل بقية الأدباء والمثقفين الذين هربوا إلى الدول الأخرى (١٥).

ويرمز في هذه القصيدة بالطوفان إلى الإحتلال الإسرائيلي الذي اجتاح كل شيء كما اجتاح طوفان نوح كل شيء على وجه الأرض ليصوّر مدى سيطره الإحتلال على فلسطين.

وعلى غير ما جاء في مضمون قصة سيدنا نوح يرى الشاعر عبر المفارقة الواضحة في الدلالة أنّ الناجين من الموت هم الذين قاوموا الطوفان، والذين ركبوا في السفينة هم الجبناء، فشخصية سيدنا نوح عليه السلام عند أمل دنقل يرمز بها إلى الشخص الهارب من الطوفان، على نقيض معناه الدلالي في القرآن الذي يتمثل في إنقاذ البشرية من الفساد والهلاك (١٦)، وهذه الرموز جميعها مأخوذة من قصة سيدنا نوح التي وردت في سورة نوح.

٢- رمز شخصية يوسف عليه السلام:

من أكثر القصص القرآنية التي وردت في شعر أمل دنقل قصة سيدنا يوسف عليه السلام، لأنها مليئة بالأحداث والشخصيات التي قد تُستخدم كرموز حسب قدرة الشاعر على توظيفها، وقد وظّف الشاعر أمل دنقل شخصية سيدنا يوسف عليه السلام في كثير من القصائد مثل قصيدة (مقتل القمر)، وقصيدة (العشاء الأخير) من ديوان (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) والتي يقول فيها:

"وأنا "يوسف" محبوب "زليخة"
عندما جئت إلى قصر العزيز
لم أكن أملك إلا.....قمراً
قمراً كان لقلبي مدفأة
ولكم جاهدت كي أخفيه عن أعين الحراس
عن كل العيون الصدئة
.....كان في الليل يضيء!
حملوني معهم في السجن حتى أطفئه
تركوني جائعاً بضع ليالي.....
فتراءى القمر الشاحب -في كفي- كعكة!
وإلى الآن.....بحلقي ماتزال
قطعة من حزنه الأشيب....تدميني

كشوكة" (١٧).

الشاعر في هذه القصيدة يستدعي قصة سيدنا يوسف عليه السلام وقد وظفها توظيفاً دقيقاً من خلال شخصية سيدنا يوسف الذي يرمز به إلى الأمانة والوفاء بالعهد والإخلاص الذي لا وجود له في هذا الزمان، ولذلك واجهوه بالظلم والطعن وسجنوه.

كما استخدم رمزاً آخر ألا وهو (القمر) والذي يرمز به إلى المبدأ، الذي حاول أن يخفيه عن المستبدين، إلى أن يموت ذلك (القمر) في السجن، ويتحول إلى كمكة في كفه، وهو جائع، وهنا تبرز المعركة على أشدها بين المبدأ والسلطة، والنتيجة محتومة، إما موت القمر أو موت صاحبه.

٣- رمز شخصية سيدنا سليمان عليه السلام:

استدعى أمل دنقل بعض أحداث قصة سيدنا سليمان عليه السلام في ثلاث قصائد من ديوانه (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) (١٨) وهي قصيدة (أيلول) وقصيدة (السويس) وقصيدة (حكاية المدينة الفضية). وكان هذا الاستدعاء الجزئي لقصة سيدنا سليمان بما يخدم رؤيته الشعرية.

ويركز الشاعر على حادثة موت سيدنا سليمان والتي لم يعلم بها أحد من الإنس أو الجن إلا بعد مرور سنة كاملة، ولقد ورد في قصص الأنبياء (وبلغني عن غيره أنها مكثت سنة تأكل من منسأته حتى خر، وقد روي هذا عن جماعة من السلف وغيرهم) (١٩)، فيلتقط هذه الحادثة ويوظفها في قصيدة (أيلول) فيقول:

(صوت) (جوقة خلفية)

"أيلول الباكي في هذا العام

ها نحن يا أيلول

يخلع عنه في السجن قلنسوة الإعدام

لم تدرك الطعنة

تسقط من سترته الزرقاء الأرقام!

فحلت اللعنة

يمشي في الأسواق: يبشر بنبوءة الدموية

.....

ليلة أن وقف على درجات القصر الحجرية

في جيلنا المخبول

ليقول لنا أنّ سليمان الجالس منكفئاً

قد حلت اللعنة

فوق عصاه

قد مات ! ولكنا نحسبه يغفو حين نراه!!

في جيلنا المخبول" (٢٠).

استعار الشاعر صورة سيدنا سليمان عليه السلام حرفياً من النص القرآني في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (سبأ ١٤).

ولكن الشاعر قد استعمل التحوير ليخدم رؤيته الشعرية (لكن تحوير الشاعر لها قد تمثل في جعل نبوءة موت سليمان عليه السلام تصدر على لسان أيلول، وجعل الشعب -وليس الجن- هو الذي ينخدع في مظهره، ويظن أنه يغفو إغفاءة قصيرة فقط) (٢١).

إذن الشاعر عمل على تحويل بعض وحدات الصورة الموروثة، ولكنه تحويل لا يمس جوهر القصة، وذلك من أجل توضيح الرؤيا التي يتبناها الشاعر، فهو هنا رمز بشخصية سيدنا سليمان إلى شخصية جمال عبد الناصر، "الذي أثبتت نكسة الخامس من أيلول للشعب المصري أنّ مظهره القوي لا يعبر عن قوته الحقيقية، وأنه لم يعد يرهب أحداً سواهم".ويرمز بالجن إلى الشعب المرعوب المطحون.

٤- رمز شخصية سيدنا عيسى عليه السلام:

تعد شخصية عيسى ابن مريم -عليه السلام- من أكثر الشخصيات الرمزية التي استخدمها الشاعر في قصائده، وكان استدعاء هذه الشخصية الرمزية بلقبها (المسيح) وليس بالاسم المباشر، لأن - كما قيل - شخصية المسيح مشهورة بالتسامح والحكمة والحزن.

ويرى الشاعر في نفسه شيئاً من خصال المسيح، فيأخذ من دعوة المسيح قومه للإيمان بالله منطلقاً له نحو تنوير قومه وإيقاظهم من غفلتهم، وفي نص (طفلتها) في ديوان (مقتل القمر) يعرض الشاعر للحظة شعورية يلتقي فيها مع المرأة المحبوبة وابنتها، بعد مرور خمس سنوات على الفراق، ويستعير الشاعر صورة المسيح كرمز للتسامح والمحبة، مخبراً إياها بأنه سامح والدها، يقول:

"غير أنّ الحقد

(يا طفلته)

كان في صوتك شيئ.....رقأه

والمسيح المُرتجى: قاتله.....

كان في عينيك عذراً برّأه..... "(٢٢).

فالشاعر يرمز بالمسيح إلى شخص الشاعر نفسه، فالمسيح مثال للتسامح الذي يحتذي به في الحزن والحكمة، فهو بشعره يعد حكيماً ناصحاً لقومه، وحزنه الناشئ من المرض كحزن المسيح المطهد من قومه.

٥- رمز شخصية السيدة مريم:

شخصية السيدة مريم عليها السلام من أكثر الشخصيات الرمزية استدعاء وحضورا لدى شعراء الرمز، وقد تميز امل دنقل في ذلك من خلال استدعاء هذا الرمز في العديد من قصائده مثل:"البكاء بين يدي زرقاء اليمامة "و "بكائية اليل والظهيرة "و "الموت في لوحات "و "العينان الحضروان "و"استريحي "، والسيدة العذراء رمز للطهر والنقاء والعفاف، وقصتها من أشهر القصص في القرآن، إذ يقول الله تعالى (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) (مريم:١٦).

وقد وظف رمز مريم العذراء بطرق متعددة منها ما جاء في قصيدة: "البكاء بين يديي زرقاء اليمامة حينما أخبرت قومها بالحقيقة فكذبوها:

ايتها العرافة المقدسة
جئت إليك...مثخنا بالطعنات والجراح.
ازحف في معاطف القتلى، وفوق الجثث المكدسة.
منكسر السيف،مغبر الجبين والأعضاء
أسال يا زرقاء
عن فمك الياقوت، عن نبوءة العذراء" (٢٣).

إنه يرمز بشخصية مريم العذراء - التي أخبرت قومها بحقيقة إبنها فكذبوها، ورموها بالفاحشة، فما كان إلا أن لحقهم العذاب والدمار -إلى زرقاء اليمامة التي وهبها الله القدرة على الرؤية لمسيرة ثلاثة ايام، فاستبصرت لقومها، ولكنهم كذبوها ورموها بالخرف مما ادى بهم إلى الهلاك.

ثانيا: رموز دينية من الإنجيل:

لعبت ثقافة الشاعر دورا كبيرا في انفتاحه على الرمز الديني من الأديان المختلفة، فنجده قد استعمل الرمز الديني المسيحي المستوحى من الكتاب المقدس (الإنجيل)، وأحسن توظيفه، مثل رمز المسيح بأبعاده المختلفة ورموزه المتعددة مثل: المخلص، وقصة الصلب،والعذاب، والفداء، و(يوحنا المعمدان) و(شخصية سالومي).

ورمز المسيح كمخلّص وأمل يرتجى، ظهر في بدايات شعر أمل دنقل في ديوانه "مقتل القمر "(٢٤)، حيث ظهر المسيح أملا للشاعر الذي ذهبت محبوبته، ولما رأى طفلتها شعر في صوتها أملا ومخلصا للحقد الذي ملأ قلبه، قال في قصيدة "طفلتها ":

"أترى تدرين من كان الفتى ؟
فهو يدري الآن....يدري خطاه !
غير ان الحقد
(يا طفلته)
كان في ض\صوتك شيء...رقأه
والمسيح المرتجى:قاتله.....
كان في عينيك عذرا برّأه !
والذي ضاع من العمر سدى
جسدت فيك الليالي نبأه !" (٢٥).

فالشاعر هنا يرمز بالسيد المسيح إلى الأمل الذي خلص الشاعر من الحقد الذي كان يملأ قلبه، ويرمز به الشاعر إلى نفسه، فيقتدي بالمسيح كرمز للتسانح وعندئذ يذهب الحقد من قلب الشاعر للدلالة على سعة صدره وحلمه وعفوه وتسامحه.

والملاحظ أن الشاعر استخدم رمز المسيح عليه السلام كرمز مزدوج من خلال النص القرآني ومن خلال نص الإنجيل، وهذا أظهر براعته،إذ استخدم نفس الرمز من مصدرين مختلفين.

كما استحضر الشاعر رمز المسيح كرمز للمثقف المعاصر والمقاوم الذي تناله السلطة، فيُسفك دمه، وحال لسانه يقول: خذوا كلوا هذا هو جسدي (٢٦)،"لأن هذا دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا "(إنجيل متى -٢٦).

ولا يغفل رمز المسيح كمخلص في العقيدة المسيحية وإن كان ذلك لا يتفق مع عقيدة الشاعر الإسلامية، إلا إنه يستخدمه كما ذكرنا كمعادل للمثقف المعاص، فكما طلب المسيح من تلامذته أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه، كذلك الشاعر والمثقفون يضحون بأنفسهم من أجل الدفاع عن الحق، وتثقيف وتنوير وتوعية عامة أهل البلاد الذين طحنهم الجهل والفقر.قال في قصيدة "العشاء الأخير " مستدعيا قصة العشاء الأخير من حيث إعادتها إلى أصولها الفرعونية:

"أنا أوزوريس واسيت القمر
وتصفحت الوجوه...
وتنبأت بما كان، وما سوف يكون
فكسرت الخبز، حين امتلات كأسي من الخمر القديمة
قلت: يا إخوة ن هذا جسدي...فالتهموه
ودمي هذا حلال....فاجرعوه !(٢٧).

فالمسيح رمز للمخلص الذي جسده ودمه فداء للبشرية

وفي قصيدة أخرى يستعمل جملة "أبانا الذي في المباحث " مرتين وهي مأخوذة من نص الإنجيل حيث استبدل بالسماء المباحث، وهي في النص الأصلي

"متى صليتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك،ليات ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض"(إنجيل لوقا ١١:٢-)، يقول أمل دنقل في قصيدة:"صلاة " من ديوان "العهد الآتي ":

"أبانا الذي في المباحث..نحن رعاياك
باق لك الجيروت
وباق لنا الملكوت
وباق لم تحرس الرهبوت "(٢٨).

الشاعر في هذه القصيدة يستبدل العناصر الدينية المقدسة ويحل مكانها عناصر أخرى تمثل الواقع الذي يعيشه الشاعر، فقد رمز الشاعر في قوله: "أبانا الذي في المباحث " إلى السلطة وجبروتها وسيطرتها الغاشمة، فرمز إلى السلطة بقوله "ابانا "واستخدم "السماء " في الرمزإلى المباحث،مولدا معنى رمزيا مما يعمق دهشة المتلقي بهذا الاستبدال، وذلك لأن الرمز الأصلي والمرموز إليه على طرفي نقيض فيما يمثلان من قيم، إذ تمثل السماء العدل والرحمة المفتقدين عند رجل المباحث بشكل يعتمد على توازي الموقع بين الكلمات.

وكما استعمل الشاعر الرمز الإنجيلي من ناحية المعنى، استخدمه من ناحية الشكل في توظيف بديع للرمز، فقد تمثل في تسمية بعض قصائده وتقسيماتها أسلوب الكتاب المقدس بعهديه: القديم "التوراة " والجديد " الإنجيل "في تسميات بداياته وفقراته، ومن ذلك ديوان "العهد الآتي " فعنوان هذا الديوان مأخوذ من العهدين القديم والجديد، كما ورد في الكتاب المقدس، وكأن الشاعر يبشر من خلال تسميته تلك بالزمن المحلوم به فى المستقبل، أي أن الشاعر يرمز بعنوان "العهد الآتي " إلى المستقبل والخلاص من الظلم والاستعباد (٢٩).

ثالثا : رموز من التوراة :

يستحضر أمل دنقل بعض رموز التوراة كما استحضر رموز القرآن والإنجيل من خلال بعض الرموز التي تتعلق بالشكل والأخرى التي تتعلق بالمعنى والمضمون، ونلحظ مدى تفاعل الشاعر مع الرمز التوراتي (العهد القديم) من خلال بعض عناوين قصائده المأخوذة من تقسيمات التوراة مثل:" سفر التكوين " و " سفر الخروج " و "سفر ألف دال " و " مزامير "،وهذه القصائد قسمها إلى " إصحاحات " كل إصحاح يحتوي على فقرة شعرية، " ويبدو أن الشاعر وهو يوظف الجانب الشكلي من الكتاب المقدس، يهدف إلى استمداد القوة من ذلك البناء الإلهي لينفث فيه معانيه وأبعاده المعاصرة "(٣٠).قال الشاعر في قصيدة " موت مغنية مغمورة ":

"من يفترس الحمل الجائع
غير الذئب الشبعان ؟
ارتاح الرب الخالق في اليوم السابع
لكن...لم يسترح الإنسان "(٣١).

وهذا الرمز المستعمل في الأبيات مأخوذ من التوراة في الإصحاح الثاني"آدم في الفردوس "فأكملت السماوات والأرض وكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل "(سفر التكوين)(١ -٣:ح).

والشاعر يرمز بالذئب الشبعان إلى السلطة الغاشمة التي عانى منها الشاعر في حياته، ويرمز بالحمل الجائع إلى الشعب والمواطن المقهور والمغلوب على أمره، وبهذا الرمز يريد الشاعر ان يرسم لنا صورة للواقع من حوله وكأنه في غابة.وقصة الخلق في التوراة مشهورة،ومضمونها أن الرب يستريح بعد أن يخلق الخلق، ولكن أمل دنقل يضيف عليها "لكن الإنسان لم يسترح " ليصور لنا حتمية الصراع والتناقض اللذين يحكمان حياة الإنسان، الحمل الجائع وهو المواطن الذي لا حول له ولا قوة في مواجهة الذئب الشبعان، وهو السلطة المستبدة

ومن الرموز التوراتية التي وظفها الشاعر في قصائده: رمز "سدوم " و"عمورية " المدينتين الملعونتين، "سدوم " هي مدينة ملعونة أمطر عليها الرب النار من السماء بسبب الخطيئة فقد عاش فيها النبي لوط عليه السلام وكان قومه يفعلون الفاحشة، وقد وردت بالتفصيل في التوراة"فامطر الرب على سدوم وعمورية كبريتا وارا من عند الرب من السماء " (سفر التكوين: ٢٤)-١٩).

يقول الشاعر في قصيدة " بطاقة كانت هنا ":

"حبيبتي لقد نجوت من " سدوم "
طفلك آت من مدينة الخراب
الموت ما زال مقيما على الأبواب
الخاطئون.....
هم الذين يرحلون
في القافلة المسدودة الدروب" (٣٢).

فالشاعر يرمز هنا بمدينة " سدوم " تلك المدينة المشئومة إلى مجتمع الفسق والفساد، كما يرمز بأهل "سدوم" إلى ضعف الأخلاق وضياع القيم الأصيلة بين الناس، وهو ما يعاني منه الشاعر حيث

ضياع القيم في المجتمع، كما إنه يحذر قومه، فالخطر ما زال قائما " الموت ما زال مقيما على الابواب " لعل قومه يتعظون ويتمسكون بما تبقى من فضيلة.

واستعمل الشاعر رمزا مشهورا ورد في التوراة من خلال قصة سيدنا لوط عليه السلام بعد خراب "سدوم وعمورية "، وما روته التوراة من خبر ابنتيه اللتين سقتا أباهما خمرا "هلم نسقى ابانا خمرا ونضجع معه، فنحيي من ابينا نسلا " (سفر التكوين، ٣٨-١٩:٣٢).وبهذه القصة يرمز إلى استمرار الفساد في الإنسانية الجديدة.

الخاتمة:

عالجت هذه الدراسة موضوع الرمز الديني وتوظيفه في شعر أمل دنقل، وقد كانت هذه المعالجة وفق مفهوم الرمز لغةً واصطلاحاً، وتطرقت إلى الرمز الديني وأهميته وأنواعه ومصادره، ثم ركّزت على أمثلة متعددة للرمز الديني من خلال بعض النصوص الشعرية من دواووين أمل دنقل، وذلك بتحديد الرمز وذكر مصدره الأصلي وذكر ما يرمز إليه وذكر دلالة هذا الرمز من خلال توظيف الشاعر له ليخدم رؤيته ويعالج من خلاله القضايا الوطنية والقومية التي كانت تشغل الشاعر.

ولقد تمت هذه الدراسة في إيجاز دقيق من خلال أمثلة منتقاة من أعمال الشاعر ولا تمثل كل الرموز الدينية التي استخدمها الشاعر، ولكننا أشرنا -مجرد إشارة- إلى بعضها للتنويه بما يخدم فكرة البحث.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

١- إنّ الشاعر أمل دنقل يتمتع بحس وطني وقومي رفيع، فكان همه الوطن والمواطن والعرب وفلسطين،.

٢- توظيف الرموز الدينية من التوراة والإنجيل مبعثه ثقافة الشاعر الواسعة وسماحة عقيدته.

٣- إنّ رموز أمل دنقل الدينية لها أصل منصوص عليه في الكتب السماوية وقد استعمل بعض القصص الدينية بتحوير بسيط لا يخل بالأصل ليخدم رؤيته.

٤- إنّ أمل دنقل ركّز تركيزاً شديداً على الرموز التي ترمز إلى المتمردين والرافضين والمقاومين للظلم، وكذلك رموز التسامح ورموز الحزن، وذلك يتوافق مع طبيعة الشاعر وصفاته الشخصية.

٥- إنّ الشاعر أمل دنقل وثّق شعرُه فتره زمنية شائكة جعلته شاهداً على عصره بكل دقة وأمانة، مجسّداً كل القضايا القومية والعربية.

المصادر والمراجع:

١- ابن فارس،أحمد ،مجمل اللغة،لبنان،دار إحياء التراث،ط١-٢٠٠٥،ص:٢٥٦.

٢- موسى،بلال،قصة الرمز الديني،القاهرة،دار الفجالة،٢٠١١،ص:٣٩.

٣- قصة الرمز الديني،ص:٣١.

٤- المساوي،عبد السلام،البنيات الدالة في شعر أمل دنقل،منشورات اتحاد الكتاب العرب،الطبعة الأولى،١٩٩٤،دمشق،ص:١٤٢.

٥- البنيات الدالة في شعر امل دنقل،ص: ١٤٤،

٦ -١٤٨,٧

٧- دنقل،أمل،الأعمال الشعرية الكاملة،القاهرة،مكتبة مدبولي،الطبعة الثانية،ص٤١٧.

٨- السابق،ص٢٧٣.

٩- السابق،٢٨١،ديوان العهد الآتي.

١٠- السابق،قصيدة من مذكرات المتنبي.

١١- السابق،١٤٩.

١٢- السابق،٤٠٤.

١٣- السابق،٤٧٩.

١٤-٣٩٣.

١٥- مجلي،نسيم،أمل دنقل أمير شعراء الرفض،كتاب المواهب،القاهرة،١٩٨٦،ص٧٦.

١٦- عبد الصادق،عبير،التناص في شعر أمل دنقل أنماطه ودلالاته،المجلد الثاني من العددالتاسع والعشرين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية،٢٠٠٩،دبي،ص:٦٩٥

١٧- الأعمال الشعرية الكاملة،أمل دنقل،"العشاء الأخير"،ص:٢٤٢.

١٨- السابق،ديوان "البكاء بين يدي زقاء اليمامة"

١٩- ابن كثير،أبو الفداء إسماعيل،قصص الأنبياء،الكويت،دار الكتاب الحديث،١٩٩٨،ص:٤٣٤.

٢٠- الأعمال الشعرية الكاملة،أمل دنقل،قصيدة "أيلول"،ص:١٢٧.

٢١- مجاهد،أحمد،أشكال التناص الشعرين"دراسة في توظيف الشخصيات التراثية"،طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب "،مصر،١٩٩٧،ص:٢١٥.

٢٢- الأعمال الشعرية الكاملة،أمل دنقل،قصيدة"طفلتها"

٢٣- السابق،قصيدة "البكاء بين يدي زرقار اليمامة"ص:١٢١.

٢٤- السابق،ص:٤٣.

٢٥- السابق،ص:٥٥.

٢٦- التناص الديني في شعر امل دنقل،عبيرالصادق،ص:٧١٠

٢٧- الأعمال الشعرية الكاملة،أمل دنقل،"العشاء الأخير"،ص:

٢٨- السابق، ص:٢٦٥.

٢٩- البنيات الدالة في شعر امل دنقل، عبدالسلام المساوي،ص:١٤٨

٣٠- السابق،ص:١٤٩.

٣١- الأعمال الشعرية الكاملة،أمل دنقل،ص:١٤٦.

٣٢- السابق،ص:١٥٣